[153] وصنع ما وصفت ؟ قال يا بني: وما علي أن أعفو عمن أكرمنى ا على يديه، وأرجو أن يغفر لى بصنيعته بى إن شاء ا. عليك يا بني بتقوى ا العظيم وطاعته، فاتخذها بضاعة يأتيك الربح من غير تجارة، وأوصيك بإخوتك خيرا، وأهل بيت رسول ا صلى ا عليه وآله، اقبل حسناتهم، وتجاوز عن سيأتهم، واغفر زلاتهم، وأوصيك بأهل الحرمين خيرا، فقد علمت من هم، وأبناء من هم، أجزل لهم العطاء، وأحسن لهم الجزاء، يكافئك ا في الآخرة والاولى. ثم توفى المهدى من يومه ذاك، واستخلف الرشيد، وخرج إلى الناس يبايعهم بوجه طلق ولسان سلط (1)، فبايعوه ببغداد، وذلك يوم الخميس من المحرم سنة ثلاث وسبعين ومائة، وتمت له البيعة يوم الجمعة في المسجد الجامع، فلم يختلف عليه أحد. ولا كره خلافته مخلوق، فأحسن السيرة، وأحكم أمر الرعية، وكان أوحد أهل بيته، ولم يشبهه أحد من الخلفاء من أهله، رحمه ا. قدوم هارون الرشيد المدينة قال: وذكروا أنه لما كانت سنة أربعة وسبعين ومائة، خرج هارن حاجا إلى مكة، فقدم المدينة زائرا قبر النبي عليه الصلاة والسلام، فبعث إلى مالك بن أنس، فأتاه، فسمع منه كتابه الموطأ، وحضر ذلك يومئذ فقهاء الحجاز والعراق والشام واليمن، ولم يتخلف منهم أحد إلا حضر ذلك الموسم مع الرشيد وسمع وسمعوا من مالك موطأه الذى وضع، وكان قارئه يومئذ حبيب كاتب الرشيد. فلما أتم قراءته قال هارون لفقهاء الحجاز والعراق: هل أنكرتم شيئا من هذا العلم ؟ قالوا: ما أنكرنا شيئا إلا ما ذكر من أمر الدماء، والتدمية في القتل، فإن هذا من أنكر ما يكون من العلم وأبطله، يقول الرجل: قتلني فلان فيقبل منه، ويحلف أولياؤه على القاتل خمسين يمينا، ثم يقتل، ولعل أولياءه لم يحضروا، ولم يكونوا بمصر، فيعرض بهم الحنث في الايمان، فيقبل قول رجل على غيره، وهو لا يقبل في ربع دانق (2) يدعيه إلا ببينة تقوم، إن هذا لهو الضلال. وقد قال صلى ا عليه وسلم في الحديث الصحيح الذى رواه ابن عباس حيث قال: " لو يعطى

---

(1) اللسان السلط: الطويل، والمراد بذلك الفصاحة. (2) الدانق: بفتح النون: سدس الدرهم. (*)